الرسالة القبرصية

خطاب لسرجواس ملك قبرص



تأليف

شيخ الاسلام الامام ابي العباس

احمد بن تيمية الحنبلي

المتوفي سنة ٧٢٨ هجرية

طبع بمطبعة المؤيد وعلى نفقتها سنة ١٣١٩ هجرية

الرسالة القبرصية

خطاب لسرجوأس ملك قبرص

تأليف

شيخ الاسلام الامام ابي العباس

أحمد بن تيمية الحنبلي

المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

من احمد بن تيمية الى سرجوان عظيم أهل ملته ومن تحوط به عنايته من رؤساء الدين . وعظماء القسيسين . والرهبان والامراء والكتاب وأتباعهم . سلام على من اتبع الهدى

أما بعد فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو إله ابراهيم وآل عمران . ونسأله أن يصلي على عباده المصطفين وأنبيائه المرسلين . ويخص بصلاته وسلامه أولى العزم الذين هم سادة الخلق وقادة الامم . الذين خصوا بأخذ الميثاق وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد كما سماهم الله تعالى في كتابه فقال عز وجل « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب » وقال تعالى « واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما »

ونسأله أن يخص بشرائف صلاته وسلامه خاتم المرسلين وخطيبهم اذا وفدوا على ربهم . وإمامهم اذا اجتمعوا . شفيع الخلائق يوم القيامة. نبي الرحمة ونبي الملحمة. الجامع محاسن الانبياء. الذي بشر به عبد الله وروحه وكلمته التي ألقاها الى الصديقة الطاهرة البتول التي لم يمسها بشر قط مريم ابنة عمران

ذلك مسيح الهدى عيسى بن مريم الوجيه في الدنيا والآخرة المقرب عند الله المنعوت بنعت الجمال والرحمة لما انجر بنو اسرائيل فيما بعث به موسى من نعت الجلال والشدة . وبعث الخاتم الجامع بنعت الكمال المشتمل على الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين . والمحتوي على محاسن الشرائع والمناهج التي كانت قبله صلى الله عليهم وسلم أجمعين . وعلى من تبعهم الى يوم القيامة

أما بعد فان الله خلق الخلائق بقدرته . وأظهر فيهم آثار مشيئته وحكمته ورحمته . وجعل المقصود الذي خلقوا له فيما أمرهم به هو عبادته . وأصل ذلك هو معرفته ومحبته . فمن هداه لله صراطه المستقيم آتاه رحمة وعلما ومعرفة باسمائه الحسنى وصفاته العليا ورزقه الانابة اليه والوجل لذكره والخشوع له والتأله له فحنّ اليه حنين النسور الى أوكارها . وكاف بحبه كاف الصبيّ بامه لا يعبد الا اياه رغبه ورهبة ومحبة وأخلص دينه لمن لدنيا والآخرة له رب الاولين والآخرين . مالك يوم الدين . خالق ما تبصرون وما لا تبصرون عالم الغيب والشهادة الذى أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون . لم يتخذ من دونه أنداداً كالذين اتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولم يشرك بربه أحدا ولم يتخذ من دونه وليا ولا شفيعا لا ملكا ولا نبيا ولا صديقا فان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا . فهنا لك اجتباه مولاه واصفاه وآتاه رشده . وهداه لما اختلف فيه من الحق باذنه فانه يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وذلك أن الناس كانو بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والاخلاص كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام حتى

ابتدعوا الشرك وعبادة الاوثان بدعة من تلقاء نفوسهم لم ينزل الله بها كتابا ولا أرسل بها رسولا بشبهات زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة. والفلسفة الحائدة. قوم منهم زعموا أن التماثيل طلاسم الكواكب السماوية. والدرجات الفلكية. والارواح العلوية. وقوم اتخذوها على صورة من كان فيهم من الانبياء والصالحين. وقوم جعلوها لاجل الارواح السفلية من الجن والشياطين. وقوم على مذاهب أخر

واكثرهم لرؤسائهم مقلدون. وعن سبيل الهدى ناكبون. فابتعث الله الله نبيه نوحا عليه السلام يدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة ما سواه من زعموا أنهم يعبدونهم ليتقربوا بهم الى الله زلفى ويتخذوهم شفعاء فمكث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فلما أعلمه الله انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن دعا عليهم فاغرق الله تعالى أهل الارض بدعوته وجاءت الرسل بعده تترى الى أن عم الارض دين الصابئة والمشركين لما كان النماردة والفراعنة ملوك الارض شرقا وغربا فبعث الله تعالى امام الحنفاء وأساس الملة الخالصة والكلمة الباقية ابراهيم خليل الرحمن فدعا الخلق من الشرك الى الاخلاص ونهاهم عن عبادة الكواكب والاصنام وقال «وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين» وقال لقومه «أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين»

وقال ابراهيم عليه السلام ومن معه لقومهم «إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا

بالله وحده » فجعل الله الانبياء والمرسلين من أهل بيته وجعل لكل منهم خصائص ورفع بعضهم فوق بعض درجات . وآتى كلا منهم من الآيات ما آمن على مثله البشر .

فجعل لموسى العصاحية حتى ابتلعت ما صنعت السحرة الفلاسفة من الحبال والعصيّ وكانت شيأ كثيراً وفلق له البحر حتى صار يابسا والماء واقفا حاجزاً بين اثنى عشر طريقا على عدد الاسباط وأرسل معه القمّلَ والضفادع والدم وظلل عليه وعلى قومه الغمام الابيض يسير معهم وأنزل عليهم صبيحة كل يوم المنّ والسلوى واذا عطشوا ضرب موسى بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم

وبعث بعده أنبياء من بني اسرائيل منهم من أحيي الله على يده الموتى . ومنهم من شفى الله على يده المرضى . ومنهم من أطلعه على ماشاء من غيبه . ومنهم من سخر له المخلوقات . ومنهم من بعثه بأنواع المعجزات

وهذا مما اتفق عليه جميع أهل الملل وفي الكتب التى بأيدى اليهود والنصارى والنبوات التي عندهم وأخبار الانبياء عليهم السلام مثل شمياء وأرمياء ودنيال وحبقوق وداود وسليمان وغيرهم وكتاب سفر الملوك وغيره من الكتب ما فيه معتبر

وكانت بنواسرائيل أمة قاسية عاصية تارة يعبدون الاصنام والاوثان وتارة يعبدون الله . وتارة يقتلون النبيين بغير الحق وتارة يستحلون محارم الله بأدنى الحيل فلعنوا [illegible] على لسان داود وكان من خراب بيت المقدس ماهو معروف عند أهل الملل كلهم

ثم بعث الله المسيح بن مريم [illegible] قد خلت من قبله الرسل وجعله

وأمه آية للناس حيث خلقه من غير أب إظهارا لكمال قدرته . وشمول كلمته حيث قسم النوع الانسانى الاقسام الاربعة فجعل آدم من غير ذكر ولا أنثى . وخلق زوجه حواء من ذكر بلا أنثى . وخلق المسيح بن مريم من أنثى بلا ذكر . وخلق سائرهم من الزوجين الذكر والانثى - وآتى عبده المسيح من الآيات البينات ماجرت به سنته فأحي الموتي وأبرأ الاكمه والابرص وأنبأ الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ودعا الى الله والى عبادته متبعا سنة اخوانه المرسلين مصدقا لمن قبله ومبشراً بمن يأتى بعده

وكان بنو اسرائيل قد عتوا وتمردوا وكان غالب أمره اللين والرحمة والعفو والصفح وجعل فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة وجعل منهم قسيسين ورهباناً فتفرق الناس في المسيح عليه السلام ومن اتبعه من الحواريين ثلاثة أحزاب . قوم كذبوه وكفروا به وزعموا انه ابن بغي ورموا أمه بالفرية ونسبوه الى يوسف النجار وزعموا ان شريعة التوراة لم ينسخ منها شيء وان الله لم ينسخ ماشرعه بعد ماعملوه بالانبياء وما كان عليهم من الآصار فى النجاسات والمطاعم . وقوم غلوا فيه وزعموا انه الله وابن الله وأن اللاهوت تدرع الناسوت وأن رب العالمين نزل وأنزل ابنه ليصلب ويقتل فداء لخطيئة آدم عليه السلام وجعلوا الاله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد قد ولد واتخذ ولدا وأنه إله حي عليم قدير جوهر واحد ثلاثة أقانيم وأن الواحد منها أقنوم الكلمة وهي العلم هي تدرعت الناسوت البشري مع العلم بأن أحدهما لايمكن انفصاله عن الآخرين الا اذا جعلوه ثلاثة إلاهات متباينة وذلك مالا يقولونه

وتفرقوا في التثليث والاتحاد تفرقا وتشتتو تشتتا لايقر به عاقل ولم يجئ

الا كلمات متشابهات فى الانجيل وما قبله من الكتب قد بينتها كلمات محكمات فى الانجيل وما قبله كلها تنطق بعبودية المسيح وعبادته لله وحده ودعائه وتضرعه

ولما كان أصل الدين هو الايمان بالله ورسله كما قال خاتم النبيين والمرسلين « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله » وقال « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » كان أمر الدين توحيد الله والاقرار برسله . ولهذا كان الصابئون والمشركون كالبراهمة ونحوهم من منكرى النبوات مشركين بالله فى اقرارهم وعبادتهم وفاسدى الاعتقاد في رسله

فأرباب التثليث فى الوحدانية والاتحاد فى الرسالة قد دخل فى أصل دينهم من الفساد ماهو بين بفطرة الله التي فطر الناس عليها وبكتب الله التي أنزلها

ولهذا كان عامة رؤسائهم من القسيسين والرهبان وما يدخل فيهم من البطارقة والمطارنة والاساقفة اذا صار الرجل منهم فاضلا مميزاً فانه ينحل عن دينه ويصير منافقاً لملوك أهل دينه وعامتهم رضي بالرياسة عليهم وبما يناله من الحظوظ كالذي كان لبيت المقدس الذى يقال له ابن البورى والذي كان بدمشق الذي يقال له ابن القف والذى بقسطنطينية وهو البابا عندهم وخلق كثير من كبار البابأوات والمطارنة والاساقفة لما خاطبهم قوم من الفضلاء أقروا لهم بأنهم ليسوا على عقيدة النصارى وانما بقاؤهم على ماهم عليه لاجل العادة والرياسة كبقاء الملوك والاغنياء على ملكهم وغناهم ولهذا تجد غالب فضلائهم انما همة أحدهم نوع من العلم الرياضي كالمنطق والهيئة

والحساب والنجوم أو الطبيعي كالطب ومعرفة الاركان أو التكلم فى الالهي على طريقة الصابئة الفلاسفة الذين بعث اليهم ابراهيم الخليل عليه السلام قد نبذوا دين المسيح والرسل الذين قبله وبعده وراء ظهورهم وحفظوا رسوم الدين لاجل الملوك والعامة

وأما الرهبان فأحدثوا من أنواع المكر والحيل بالعامة مايظهر لكل عاقل حتى صنف الفضلاء فى حيل الرهبان كتبا مثل النار التى كانت تصنع بقمامة يدهنون خيطاً دقيقا بسندروس ويلقون النار عليه بسرعة فتنزل فيعتقد الجهال انها نزلت من السماء ويأخذونها الى البحر وهى صنعة ذلك الراهب يراه الناس عيانا وقد اعترف هو وغيره أنهم يصنعونها

وقد اتفق أهل الحق من جميع الطوائف على أنه لاتجوز عبادة الله تعالى بشيء ليس له حقيقة . وقد يظن المنافقون ان ماينقل عن المسيح وغيره من المعجزات من جنس النار المصنوعة وكذلك حيلهم فى تعليق الصليب وفى بكاء التماثيل التى يصورونها على صورة المسيح وأمه وغيرهما ونحو ذلك كل ذلك يعلم كل عاقل انه افك مفتري وأن جميع انبياء الله وصالحي عباده برآء من كل زور باطل وإفك كبرائهم من سحر سحرة فرعون .

ثم ان هؤلاء عمدوا الى الشريعة التي يعبدون الله بها فناقضوا الاولين من اليهود فيها مع انهم يأمرون بالتمسك بالتوراة الا مانسخه المسيح . قصر هؤلاء فى الانبياء حتى قتلوهم . وغلا هؤلاء فيهم حتي عبدوهم وعبدوا تماثيلهم وقال أولئك ان الله لا يصلح له ان يغير ماأمر به فينسخه لافى وقت آخر ولا على لسان نبي آخر . وقال هؤلاء بل الاحبار والقسيسون يغيرون ماشاؤا ويحرمون مارأوا ومن أذنب ذنباً وظفوا عليه مارأوا من العبادات وغفرو

. ومنهم من يزعم انه ينفخ فى المرأة من روح القدس فيجعل البخور قربانا . وقال أولئك حرم علينا أشياء كثيرة . وقال هؤلاء مابين البقة والفيل حلال كل ماشئت ودع ماشئت . وقال أولئك النجاسات مغلظة حتى ان الحائض لايقعد معها ولا يؤكل معها . وهؤلاء يقولون ماعليك شيء نجس ولا يأمرون بختان ولا غسل من جنابة ولا ازالة نجاسة مع أن المسيح والحواريين كانوا على شريعة التوراة

ثم ان الصلاة الى المشرق لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون وانما ابتدعها قسطنطين أو غيره . وكذلك الصليب انما ابتدعه قسطنطين برأيه وبمنام زعم انه رآه . واما المسيح والحواريون فلم يأمروا بشيء من ذلك

والدين الذي يتقرب العباد به الي الله لابد ان يكون الله أمر به وشرعه على ألسنة رسله وانبيائه والا فالبدع كلها ضلالة وما عبدت الاوثان الا بالبدع وكذلك ادخال الالحان فى الصلوات لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون

وبالجملة فعامة انواع العبادات والاعياد التي هم عليها لم ينزل بها الله كتابا ولا بعث بها رسولا لكن فيهم رأفة ورحمة وهذا من دين الله بخلاف الاولين فان فيهم قسوة ومقتا وهذا مما حرمه تعالى لكن الاولون لهم تمييز وعقل مع العناد والكبر والآخرون فيهم ضلال عن الحق وجهل بطريق الله

ثم ان هاتين الامتين تفرقتا احزابا كثيرة في أصل دينهم واعتقادهم في معبودهم ورسولهم . هذا يقول ان جوهر اللاهوت والناسوت صارا جوهراً واحداً وطبيعة واحدة وأقنوما واحداً وهم اليعقوبية . وهذا يقول بل هما جوهران وطبيعتان وأقنومان وهم النسطورية . وهذا يقول بالاتحاد من وجه دون وجه وهم الملكانية

وقد آمن جماعات من علماء أهل الكتاب قديما وحديثا وهاجروا الى الله ورسوله وصنفوا في كتب الله من دلالات نبوة النبي خاتم المرسلين وما في التوراة والزبور والانجيل من مواضع لم يدبروها وكذلك الحواريون فلما اختلف الاحزاب من بينهم هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فبعث النبي الذي بشر به المسيح ومن قبله من الانبياء داعيا الى ملة ابراهيم ودين المرسلين قبله وبعده وهو عبادة الله وحده لا شريك له واخلاص الدين كله لله وطهر الارض من عبادة الاوثان ونزه الدين عن الشرك دقه وجله بعد ما كانت الاصنام تعبد في أرض الشام وغيرها فى دولة بني اسرائيل ودولة الذين قالوا انا نصاري وأمر بالايمان بجميع كتب الله المنزلة كالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وبجميع أنبياء الله من آدم الى محمد

قال الله تعالى «وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون»

وأمر الله ذلك الرسول بدعوة الخلق الى توحيده بالعدل فقال تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » وقال تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب » وقال تعالى « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم

والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون »

وأمره ان تكون صلاته وجهه الى بيت الله الحرام الذي بناه خليله ابراهيم أبو الانبياء وامام الحنفاء وجعل أمته وسطا فلم يغلوا في الانبياء كغلوّ من عدلهم بالله وجعل فيهم شيأ من الالهية وعبدهم وجعلهم شفعاء ولم يجفوا جفاء من آذاهم واستخف بحرماتهم وأعرض عن طاعتهم بل عزّروا الانبياء أي عظموهم ونصروهم وآمنوا بما جاؤا به وأطاعوهم واتبعوهم وأتموا بهم وأحبوهم وأجلّوهم ولم يعبدوا الا الله فلم يتكلوا الا عليه ولم يستعينوا الا به مخلصين له الدين حنفاء

وكذلك في الشرائع قالوا ما أمرنا الله به اطعناه وما نهانا عنه انتهينا واذا نهانا عما كان أحله كما نهى بني اسرائيل عما كان أباحه ليعقوب أو أباح لنا ما كان حراما كما أباح المسيح بعض الذى حرم الله على بنى اسرائيل سمعنا وأطعنا

وأما غير رسل الله وأنبيائه فليس لهم ان يبدلوا دين الله ولا يبتدعوا في الدين مالم يأذن به الله . والرسل انما قالوا تبليغاً عن الله فانه سبحانه له الخلق والامر فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره « ان الحكم الا لله أمر الاّ تعبدوا الا إياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون »

وتوسطت هذه الامة في الطهارة والنجاسة وفي الحلال والحرام وفي الاخلاق ولم يجردوا الشدة كما فعله الاولون ولم يجردوا الرأفة كما فعله الآخرون بل عاملوا أعداء الله بالشدة وعاملوا أولياء الله بالرأفة والرحمة وقالوا في المسيح ما قاله سبحانه وتعالى وما قاله المسيح والحواريون لا ما ابتدعه الغالون والجافون

وقد أخبر الحواريون عن خاتم المرسلين ان يبعث من أرض اليمن وانه يبعث بقضيب الادب وهو السيف. وأخبر المسيح أنه يجيء بالبينات والتأويل وأن المسيح جاء بالامثال وهذا باب يطول شرحه

وانما نبه الداعي لعظيم ملته وأهله لما بلغني ما عنده من الديانة والفضل ومحبة العلم وطلب المذاكرة ورأيت الشيخ أبا العباس المقدسي شاكراً من الملك من رفقه ولطفه وإقباله عليه وشاكرا من القسيسين ونحوهم

ونحن قوم نحب الخير لكل أحد ونحب ان يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة فان أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه وبذلك بعث الله الانبياء والمرسلين ولا نصيحة أعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه فانه لابد للعبد من لقاء الله ولابد أن الله يحاسب عبده كما قال تعالى «فلنسألنَّ الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين»

وأما الدنيا فأمرها حقير. وكبيرها صغير. وغاية أمرها يعود الى الرياسة والمال وغايه ذي الرياسة ان يكون كفرعون الذي أغرقه الله في اليم انتقاما منه. وغاية ذي المال أن يكون كقارون الذي خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة لما آذى نبي الله موسى

وهذه وصايا المسيح ومن قبله ومن بعده من المرسلين كلها تأمر بعبادة الله والتجرد للدار الاخرة والاعراض عن زهرة الحياة الدنيا ولما كان أمر الدنيا خسيسا رأيت أن أعظم مايهدى لعظيم قومه المفاتحة في العلم والدين بالمذاكرة فيما يقرب الى الله. والكلام في الفروع مبني على الاصول. وانتم تعلمون ان دين الله لايكون بهوى النفس ولا بعادات الآباء وأهل المدنية وانما ينظر العاقل فيما جاءت به الرسل وفي مااتفق الناس عليه وما اختلفوا

فيه ويعامل الله تعالى بينه وبين الله تعالى بالاعتقاد الصحيح والعمل الصالح وان كان لايمكن الانسان ان يظهر كل مافي نفسه لكل أحد فينتفع هو بذلك القدر

وإن رأيت من الملك رغبة في العلم والخير كاتبته وجاوبته عن مسائل يسألها وقد كان خطر لي أن أجيء الى قبرص لمصالح في الدين والدنيا لكن اذا رأيت من الملك مافيه رضى الله ورسوله عاملته بما يقتضيه عمله فان الملك وقومه يعلمون أن الله قد أظهر من معجزات رسله عامة ومحمد خاصة ماأيد به دينه وأذل الكفار والمنافقين

ولما قدم مقدم المغول غازان وأتباعه الى دمشق وكان قد انتسب الى الاسلام لكن لم يرض الله ورسوله والمؤمنون بما فعلوه حيث لم يلتزموا دين الله وقد اجتمعت به وبأمرائه وجري لى معهم فصول يطول شرحها لابد أن تكون قد بلغت الملك فأذله الله وجنوده لنا حتى بقينا نضربهم بأيدينا ونصرخ فيهم بأصواتنا وكان معهم صاحب سيس مثل أصغر غلام يكون حتى كان بعض المؤذنين الذين معنا يصرخ عليه ويشتمه وهو لايجتريء ان يجاوبه حتى أن وزراء غازان ذكروا مانيم عليه من فساد النية له وكنت حاضرا لما جاءت رسلكم الى ناحية الساحل واخبرني التتار بالامر الذي اراد صاحب سيس ان يدخل بينكم وبينه فيه حيث مناكم بالغرور وكان التتار من أعظم الناس شتيمة لصاحب سيس واهانة له ومع هذا فانا كنا نعامل اهل ملتكم بالاحسان اليهم والذب عنهم

وقد عرف النصاري كلهم أنى لما خاطبت التتار في اطلاق الاسري واطلقهم غازان وقطلوشاه وخاطبت مولاى فيهم فسمح باطلاق المسلمين

قال لي لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يطلقون فقلت له بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا فانا نفتكهم ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة واطلقنا من النصارى من شاء الله فهذا عملنا واحساننا والجزاء علي الله

وكذلك السبي الذى بأيدينا من النصاري يعلم كل احد احساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم كما أوصانا خاتم المرسلين حيث قال فى آخر حياته « الصلاة وما ملكت ايمانكم قال الله تعالى فى كتابه « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً »

ومع خضوع التتار لهذه الملة وانتسابهم الي هذه الملة فلم نخادعهم ولم نانافقهم بل بينا لهم ماهم عليه من الفساد والخروج عن الاسلام الموجب لجهادهم وأن جنود الله المؤيدة وعساكره المنصورة المستقرة بالديار الشامية والمصرية مازالت منصورة على من ناواها . مظفرة على من عاداها . وفى هذه المدة لما شاع عند العامة أن التتار مسلمون امسك العسكر عن قتالهم فقتل منهم بضعة عشر الفا ولم يقتل من المسلمين مائتان فلما انصرف العسكر الى مصر وبلغه ماعليه هذه الطائفة الملعونه من الفساد وعدم الدين خرجت جنود الله وللأرض منها وئيد قد ملأت السهل والجبل في كثرة وقوة وعدة وايمان وصدق قد بهرت العقول والالباب محفوفه بملائكه الله التى مازال عد بها الامة الحنيفية المخلصة لبارئها فانهزم العدو بين أيديها ولم يقف لمقابلتها ثم أقبل العدو ثانيا فارسل عليه من العذاب ما أهلك النفوس والخيل وانصرف خاسئا وهو حسير وصدق الله وعده ونصر عبده . وهو الآن في البلاء الشديد والتعكيس العظيم والبلاء الذي أحاط به . والاسلام فى عز متزايد . وخير مترافد .

قال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال « ان الله يبعث لهذه الامة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها »

وهذا الدين فى اقبال وتجديد وأنا ناصح للملك وأصحابه والله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة والانجيل والفرقان. ويعلم الملك أن وفد نجران وكانوا نصارى كلهم فيهم الاسقف وغيره لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله ورسوله والى الاسلام خاطبوه في أمر المسيح وناظروه فلما قامت عليهم الحجة جعلوا يراوغون فامر الله نبيه أن يدعوهم الى المباهلة كما قال « فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين »

فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك استشوروا بينهم فقالوا تعلمون انه نبي وانه ما باهل أحد نبيا فافلح فادوا اليه الجزية ودخلوا في الذمة واستعفوا من المباهلة

وكذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتابه الى قيصر الذي كان ملك النصارى بالشام والبحر الى قسطنطينية وغيرها وكان ملكا فاضلا فلما قرأ كتابه وسأل عن علامته عرف انه النبي الذي بشر به المسيح وهو الذي كان وعد الله به ابراهيم في ابنه اسماعيل وجعل يدعو قومه النصارى الي متابعته واكرم كتابه وقبله ووضعه على عينيه وقال وددت انى أخلص اليه حتي أغسل عن قدميه ولولا ما انا فيه من الملك لذهبت اليه

وأما النجاشي ملك الحبشة النصراني فانه لما بلغه خبر النبي صلي الله عليه وسلم من أصحابه الذين هاجروا اليه آمن به وصدقه وبعث اليه ابنه وأصحابه

مهاجرين وصلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه لما مات ولما سمع سورة « كهيعص »
بكي ولما اخبروه عما يقولون فى المسيح قال والله ما يزيد عيسى على هذا
مثل هذا العود وقال ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة

وكانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أن من آمن بالله وكتبه ورسله من النصارى صار من أمته له مالهم وعليه ما عليهم وكان له أجران أجر على ايمانه بالمسيح وأجر على ايمانه بمحمد . ومن لم يؤمن به من الامم فان الله أمر بقتاله كما قال فى كتابه « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتي يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون »

فمن كان لا يؤمن بالله بل يسب الله ويقول انه ثالث ثلاثة وأنه صلب ولا يؤمن برسله بل يزعم ان الله حل وولد وكان يأكل ويشرب ويتغوط وينام هو الله وابن الله وان الله أو ابنه حل فيه وتدرعه ويجحد ما جاء به محمد خاتم المرسلين ويحرف نصوص التوراة والانجيل فان فى الاناجيل الاربعة من التناقض والاختلاف بين ما أمر الله به وأوجبه ما فيها ولا يدين الحق ودين الحق هو الاقرار بما أمر الله به وأوجبه من عبادته وطاعته ولا يحرم ماحرم الله ورسوله من الدم والميتة ولحم الخنزير الذي مازال حراما من لدن آدم الى محمد صلي الله عليه وسلم ما أباحه نبي قط بل علماء النصارى يعلمون أنه محرم وما يمنع بعضهم من إظهار ذلك الا الرغبة والرهبة وبعضهم يمنعه العناد والعادة ونحو ذلك ولا يؤمنون باليوم الآخر لان عامتهم وان كانوا يقرون بقيامة الابدان لكنهم لا يقرون بما أخبر الله به من الاكل والشرب واللباس والنكاح والنعيم والعذاب في الجنة والنار بل غاية مايقرون به من النعيم السماع

والشم ومنهم متفلسفة ينكرون معاد الاجساد واكثر علمائهم زنادقة وهم يضمرون ذلك ويسخرون بعوامهم لا سيما بالنساء والمترهبين منهم لضعف العقول فمن هذا حاله فقد أمر الله رسوله بجهاده حتى يدخل فى دين الله أو يؤدي الجزية وهذا دين محمدصلى الله عليه وسلم

ثم المسيح صلوات الله عليه لم يأمر بجهاد لا سيما بجهاد الامة الحنيفية ولا الحواريون بعده . فياأيها الملك كيف تستحل سمك الدماء وسبي الحريم وأخذ الاموال بغير حجة من الله ورسله .

ثم أما يعلم الملك أن بديارنا من النصارى أهل الذمة والأمان مالا يحصى عددهم الا الله ومعاملتنا فيهم معروفة فكيف يعاملون أسرى المسلمين بهذه المعاملات التى لا يرضى بها ذومروءة ولا ذودين لست أقول عن الملك وأهل بيته ولا اخوته فان أبا العباس شاكر للملك ولاهل بيته كثيراً معترف بما فعلوه معه من الخير وإنما أقول عن عموم الرعية أليس الأسرى في رعية الملك أليست عهود المسيح وسائر الانبياء توصى بالبر والاحسان فاين ذلك

ثم ان كثيراً منهم انما أخذوا غدراً والغدر حرام في جميع الملل والشرائع والسياسات فكيف تستحلون أن تستولوا على من أخذ غدراً أفتأمنون مع هذا أن يقابلكم المسلمون ببعض هذا وتكونون مغدورين والله ناصرهم ومعينهم لا سيما في هذه الاوقات والامة قد امتدت للجهاد .واستعدت للجلاد. ورغب الصالحون وأولياء الرحمن فى طاعته وقد تولى الثغور الساحلية أمراء ذوو بأس شديد وقد ظهر بعض أثرهم وهم في ازدياد

ثم عند المسلمين من الرجال الفداوية الذين يغتالون الملوك فى فرشها وعلى افراسها من قد بلغ الملك خبرهم قديما وحديثا وفيهم الصالحون الذين

لا يرد الله دعواتهم ولا يخيب طلباتهم الذين يغضب الرب لغضبهم ويرضي لرضاهم . وهؤلاء التتار مع كثرتهم وانتسابهم الى المسلمين لما غضب المسلمون عليهم أحاط بهم من البلاء ما يعظم عن الوصف فكيف يحسن أيها الملك بقوم يجاورون المسلمين من اكثر الجهات أن يعاملوهم هذه المعاملة التي لا يرضاها عاقل لا مسلم ولا معاهد

هذا وأنت تعلم أن المسلمين لا ذنب لهم أصلا بل هم المحمودون على ما فعلوه فان الذي أطبقت العقلاء على الاقرار بفضله هو دينهم حتى الفلاسفة أجمعوا على انه لم يطرق العالم دين أفضل من هذا الدين فقد قامت البراهين على وجوب متابعته

ثم هذه البلاد ما زالت بايديهم الساحل بل وقبرص أيضا ما أخذت منهم الا من أقل من ثلاثمائة سنة وقد وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم أنهم لا يزالون ظاهرين الى يوم القيامة فما يؤمن الملك أن هؤلاء الأسرى المظلومين ببلدته ينتقم لهم رب العباد والبلاد كما ينتقم لغيرهم وما يؤمنه أن تأخذ المسلمين حمية اسلامهم فينالوا فيها ما نالوا من غيرها ونحن اذا رأينا من الملك وأصحابه مايصلح عاملناهم بالحسنى والا فمن بغي عليه لينصرنه الله

وأنت تعلم أن ذلك من أيسر الامور على المسلمين وأنا ما غرضى الساعة الا مخاطبتكم بالتى هي أحسن والمعاونة على النظر فى العلم واتباع الحق وفعل ما يجب فان كان عند الملك من يثق بعقله ودينه فليبحث معه عن أصول العلم وحقائق الاديان ولا يرضى ان يكون من هؤلاء النصارى المقلدين الذين لا يسمعون ولا يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا

وأصل ذلك ان تستعين بالله وتسأله الهداية وتقول اللهم أرنى الحق حقا

وأعني على اتباعه وأرني الباطل باطلا وأعني على اجتنابه ولا تجعله مستبهماً علي فاتبع الهوي وقل اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الي صراط مستقيم

والكتاب لايحتمل البسط أكثر من هذا لكن أنا ما أريد للملك الا ماينفعه في الدنيا والآخرة وهما شيآن . أحدهما له خاصة وهو معرفته بالعلم والدين وانكشاف الحق وزوال الشبهة وعبادة الله كما أمر فهذا خير له من ملك الدنيا بحذافيرها وهو الذى بعث به المسيح وعلمه الحواريين . الثاني له وللمسلمين وهو مساعدته للاسري الذين فى بلاده واحسانه اليهم وأمر رعيته بالاحسان اليهم والمعاونة لنا على خلاصهم فان في الاساءة اليهم دركا على الملك فى دينه ودين الله تعالى ودركا من جهة المسلمين وفى المعاونة على خلاصهم حسنة له في دينه ودين الله تعالى وعند المسلمين وكان المسيح أعظم الناس توصية بذلك

ومن العجب كل العجب أن يأسر النصارى قوما غدراً أو غير غدر ولم يقاتلوهم والمسيح يقول « من لطمك على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر ومن أخذ رداءك أعطه قيصك » وكلما كثرت الاسرى عندكم كان أعظم لغضب الله وغضب عباده المسلمين فكيف يمكن السكوت على أسري المسلمين في قبرص سيما وعامة هؤلاء الاسرى قوم فقراء وضعفاء ليس لهم من يسعى فيهم .وهذا أبو العباس مع أنه من عباد المسلمين وله عبادة وفقر وفيه مشيخة ومع هذا فما كاد يحصل له فداؤه الا بالشدة.ودين الاسلام يأمرنا أن نعين الفقير والضعيف فالملك أحق أن يساعد على ذلك من وجوه كثيرة لا سيما

والمسيح يوصي بذلك في الانجيل ويأمر بالرحمة العامة والخير الشامل كالشمس والمطر . والملك وأصحابه اذا عاونونا على تخليص الاسرى والاحسان اليهم كان الحظ الاوفر لهم فى ذلك فى الدنيا والآخرة . أما في الآخرة فان الله يثيب على ذلك ويأجر عليه وهذا مما لا ريب فيه عند العلماء المسيحيين الذين لا يتبعون الهوي بل كل من اتقى الله وأنصف علم أنهم أسروا بغير حق لاسيما من أخذ غدراً والله تعالى لم يأمر ولا المسيح أمر ولا أحد من الحواريين ولا من اتبع المسيح على دينه لا بأسر أهل ملة ابراهيم ولا بقتلهم وكيف وعامة النصارى يقرون بان محمداً رسول الاميين فكيف يجوز أن يقاتل أهل دين اتبعوا رسولهم

«فان قال قائل» هم قاتلونا أول مرة « قيل » هذا باطل فيمن غدرتم به ومن بدأتموه بالقتال . وأما من بدأكم منهم فهو معذور لان الله تعالى أمره بذلك ورسوله بل المسيح والحواريون أخذ عليهم المواثيق بذلك ولا يستوي من عمل بطاعة الله ورسله ودعا الى عبادته ودينه وأقر بجميع الكتب والرسل وقاتل لتكون كلمة الله هى العليا وليكون الدين كله لله ومن قاتل فى هوى نفسه وطاعة شيطانه على خلاف الله ورسله

وما زال فى النصارى من الملوك والقسيسين والرهبان والعامة من له مزية على غيره في المعرفة والدين فيعرف بعض الحق وينقاد لكثير منه ويعرف من قدر الاسلام وأهله ما يجهله غيره فيعاملهم معاملة تكون نافعة له في الدنيا والآخرة. ثم فى فكاك الاسير وثواب العتق من كلام الانبياء والصديقين ما هو معروف لمن طلبه فمهما عمل الملك معهم وجد ثمرته . وأما فى الدنيا فان المسلمين أقدر على المكافأة فى الخير والشر من كل أحد ومن حاربوه

بالويل كل الويل له والملك لا بد أن يكون سمع السير وبلغه انه ما زال فى المسلمين النفر القليل منهم من يغلب أضعافا مضاعفة من النصارى وغيرهم فيكف اذا كانوا أضعافهم وقد بلغه الملاحم المشهورة فى قديم الدهر وحديثه مثل أربعين الفا يغلبون من النصارى اكثر من أربعمائة الف اكثرهم فارس وما زال المرابطون بالثغور مع قلتهم واشتغال ملوك الاسلام عنهم يدخلون بلاد النصارى فكيف وقد منّ الله تعالى على المسلمين باجتماع كلمتهم وكثرة جيوشهم وبأس مقدميهم وعلو هممهم ورغبتهم فيما يقرب الى الله تعالى واعتقادهم أن الجهاد أفضل الاعمال المطوعة وتصديقهم بما وعدهم نبيهم حيث قال « يعطى الشهيد ست خصال . يغفر له باول قطرة من دمه. ويرى مقعده فى الجنة . ويكسي حلة الايمان. ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين . ويوقي فتنة القبر. ويؤمن من الفزع الاكبر يوم القيامة

ثم ان فى بلادهم من النصارى أضعاف ما عندكم من المسلمين فان فيهم من رؤس النصارى من ليس فى البحر مثلهم الا قليل . وأما أسراء المسلمين فليس فيهم من يحتاج اليه المسلمون ولا من ينتفعون به وانما نسعى فى تخليصهم لاجل الله تعالى رحمة لهم وتقربا اليه يوم يجزى الله المصدقين ولا يضيع أجر المحسنين

وأبو العباس حامل هذا الكتاب قد بث محاسن الملك وإخوته عندنا واستعطف قلوبنا اليه فلذلك كاتبت الملك لما بلغتني رغبته في الخير وميله الى العلم والدين وأنا من نواب المسيح وسائر الانبياء في مناصحة الملك وأصحابه وطلب الخير لهم فان أمة محمد خير أمة أخرجت للناس يريدون للخلق خير الدنيا والآخرة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعونهم الى الله ويعينونهم

على مصالح دينهم ودنياهم وان كان الملك قد بلغه بعض الاخبار التي فيها طعن على بعضهم أو طعن على دينهم. فاما أن يكون الخبر كاذبا أو مافهم التأويل وكيف صورة الحال. وان كان صادقا عن بعضهم بنوع من المعاصي والفواحش والظلم فهذا لابد منه فى كل أمة بل الذي يوجد فى المسلمين من الشر أقل مما فى غيرهم بكثير والذي فيهم من الخير لا يوجد مثله فى غيرهم

والملك وكل عاقل يعرف أن اكثر النصارى خارجون عن وصايا المسيح والحواريين ورسائل بولص وغيره من القديسين وان كان أكثر ما معهم من النصرانية شرب الخمر وأكل الخنزير وتعظيم الصليب ونواميس مبتدعة ماأنزل الله بها من سلطان وأن بعضهم يستحل بعض ماحرمته الشريعة النصرانية هذا فيما يقرون به وأما مخالفتهم لما لا يقرون به فكلهم داخل فى ذلك بل قد ثبت عندنا عن الصادق المصدوق رسول الله صلي الله عليه وسلم أن المسيح عيسى بن مريم ينزل عندنا بالمنارة البيضاء فى دمشق واضعاً يده على منكبي ملكين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل من أحد الاّ الاسلام ويقتل مسيح الضلالة الأعور الدجال الذي يتبعه اليهود ويسلط المسلمون على اليهود حتى يقول الشجر والحجر يامسلم هذا يهودي ورائى فاقتله وينتقم الله للمسيح بن مريم مسيح الهدى من اليهود ما آذوه وكذبوه لما بعث اليهم

وأما ماعندنا في أمر النصاري وما يفعل الله بهم من ادالة المسلمين عليهم وتسليطه عليهم فهذا مما لا أخبر به الملك لئلا يضيق صدره ولكن الذي أنصحه به ان كل من أسلف الى المسلمين خيراً ومال اليهم كانت عاقبته معهم حسنة

بحسب مافعله من الخير فان الله يقول « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » والذى أختم به الكتاب الوصية بالشيخ أبي العباس وبغيره من الاسرى والمساعدة لهم والرفق بمن عندهم من أهل القرآن والامتناع من تغيير دين واحد منهم وسوف يرى الملك عاقبة ذلك كله ونحن نجزي الملك على ذلك باضعاف مافى نفسه . والله يعلم انى قاصد للملك الخير لان الله تعالى أمرنا بذلك وشرع لنا أن نريد الخير لكل أحد ونعطف على خلق الله وندعوهم الى الله والى دينه وندفع عنهم شياطين الانس والجن .

والله المسئول أن يعين الملك على مصلحته التي هي عند الله المصلحة وأن يخير له من الاقوال ماهو خير له عند الله ويختم له بخاتمة خير. والحمد لله رب العالمين. وصلواته على أنبيائه المرسلين . ولا سيما محمد خاتم النبيين والمرسلين والسلام عليهم أجمعين